المرأة فى شعر شوقى

بمناسبة ذكراه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

تتمة ما نشر فى العدد الأسبق

أما الصورة الثانية فنرى فيها شوقى يساير روح الإصلاح المنبعثة من قلوب المستنيرين الآخذة فى الازدياد . فجاء شعره خاليا من الصناعة الشعرية بعيدا عن التكلف ، تظهر فيه روح معنوية صريحة تسمو بالغرض الشعرى ، فقد استجاب للصيحات التى يبعثها رجال الإصلاح

ونراه يخصص لشكلة الحجاب والسفور — التى شغلت القوم — قصيدة طويلة تظهر فيها شاعريته القوية وثقافته العالية ، ولكنه مع ذلك كان شديد الخشية والحذر من مكاشفة الجمهور برأى صريح ، فاستغل خياله الخصب ومعانيه الرائعة فأضفى على القصيدة نوعا من السحر ، أخذ بألباب الناس ، المحافظ منهم والمجدد ، وصار الكل يتغنون بهذا الشعر الجميل

ففى قصيدته التى بعث بها إلى (مكسونة البادية) يدعو فيها المرأة إلى نزول ميدان الحياة متسلحة بالأخلاق القويمة والمثل العالية ، وأن تكون واضحة الحجة قوية البرهان ، وأن تتذرع بالصبر على ما يصيبها فى سبيل ما تريد أن تصل إليه ، لأن المعالى لا تنال إلا بالجد والكفاح فيقول

صداح يا ملك الكنا ... ر ويا أمير البلبل
قد فزت منك (بمعبد) ... ورزقت قرب (الموصلى)(١)
وأتيح لى (داود) مز ... مارا وحسن ترتل (٢)
يا طير والأمثال تض ... رب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها ... ألا تكون لأعزل
أو للنبى وإن تما ... ل بالزمان المقبل

جعلت لحر يبتلى ... فى ذى الحياة ويبتلى
يرمى ويرمى فى جها ... د العيش غير مغفل
مستجمع كالليث إن ... يجهل عليه يجهل
أسمعت بالحكمين فى الـ ... إسلام يوم (الجندل)
فى الفتنة الكبرى ولو ... لا حكمة لم تشمل
رضى الصحابة يوم ذا ... ك بالكتاب المنزل
وهم المصابيح السرا ... ة عن النبى المرسل
رجموا الظلم كالطبا ... ئع فى النفوس مؤصل
نزلوا على حكم القو ... ى وعند رأى الأحيل (٣)

ففى هذه القصيدة والأبيات الأخيرة منها خاصة يبين أن الأمر للقوة مهما كان وضوح الحق ومهما كانت حجة قائليه ، فلم يكن معاوية بأقوى حجة من على ولا صاحب حق مثله ، ولكنه كان ذا قوة وذا حيلة فاستطاع أن يظفر بما يريد فى آخر الأمر ، وهذا شأن الحياة كل شئ فيها يحتاج إلى القوة والحيلة

* * *

ثم يطرق موضوعا أكثر خطورة من سابقه ، فهو ينعى على الرجال تعسفهم مع نسائهم وتنكرهم لهن بزواجهم عليهن بعد أن قضين فى أكنافهم زمن الصبا ، وزبلت منهن زهرة الشباب . وحفظن لهم أعراضهم ، وصبرن معهم على حلو الحياة ومرها ، وبعد أن رزقن منهم بنين وبنات ، فيقول :

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من أنصار
يا معشر الكتاب : أين بلاؤكم ... أين البيان وصائب الأفكار
أيهمكم عبث وليس يهمكم ... بنيان أخلاق بغير جدار
عندى على ضيم الحرائر بينكم ... نبأ يثير ضمائر الأحرار

ومنها قوله :

كثرت على دار السعادة(٤) زمرة ... من مصر أهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتهم ... لا صاحبات بغى ولا بشرار
شاطرتهم نعم الصبا وسقيتهم ... دهرا بكأس السرور عقار

(١) معبد : هو المغنى المشهور فى أيام بنى أمية — والموصلى : يقصد به إسحاق الموصلى وهو كذلك مغن مشهور

(٢) داود : هو النبى داود ومزماره ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد

(٣) الأحيل : الأكثر حيلة

(٤) دار السعادة : يقصد الآستانة

الوالدات بنيهم وبناتهم الحافظات العرض كالأسوار
الصابرات لضرة ومضرة المحييات الليل بالأذكار
من كل ذى سبعين يكتم شيبه والشيب فى فوديه ضوء نهار
يأبى له فى الشيب غير سفاهة قلب صغير الهم والأوطار
كم ناهد فى اللاعبات صغيرة ألهته عن حقد بمصر صغار
يرشو عليها الوالدين : ثلاثة لم أدر أيهم الغليظ الضارى
المال حلل كل غير محلل حتى زواج الشيب بالأبكار
سحر القلوب فرب أم قلبها من سحره حجر من الأحجار
دفنت بنيتها لأشأم مضجع ورمت بها فى غربة وأسار
ما زوجت تلك الفتاة وإنما بيع الصبا والحسن بالدينار
بعض الزواج مذمم ، ما بالزنا والرق إن قيسا به من عار
فتشت لم أر فى الزواج كفاءة ككفاءة الأزواج فى الأعمار
أسفى على تلك المحاسن كلها نقلت من (البال) إلى الدوار
إن الحجاب على (فروق) جنة وحجاب مصر وريفها من نار
وعلى وجوه كالأهلة روعت بمد الصفور ببرقع وخمار
وعلى الذوائب وهى مسك خولطت
عند العناق بمثل ذوب القار
وعلى الشفاه المحييات أمانها ريح الشيوخ تهب فى الأسحار

فى هذه القصيدة يسمعنا رأيه صريحا ، لا يهاب ولا يخشى ، فيدعو أصحاب الأقلام ليستلوها على هؤلاء العابثين الذين لا هم لهم إلا إشباع شهواتهم ، وعلى الذين يتجردون من العواطف الإنسانية ويبيعون بناتهم بيع السائمة طمعا فى الأموال . .

* * *

ثم يكون فى قصيدة أخرى أبعد صراحة وأكثر تأييدا للمجددات من نساء مصر ، ممجدا مقام المرأة ، ضاربا الأمثال بالرسول الكريم فى معاملته للنساء . وبأمهات المؤمنين فى العزة والكرامة والعلم والمعرفة ، وكيف أنهن حملن تراث الشريعة الإسلامية وشاركن الرجال فى التجارة والحرب والسياسة ، فيقول فى قصيدته (مصر تجدد مجدها) :

قم حى هذى النيرات حيى الحسان الخيرات
واخفض جبينك هيبة للخرد المتحفزات
زين المقاصر والحجا ل وزين محراب الصلاة
هذا مقام الأمها ت فهل قدرت الأمهات

* * *

خذ بالكتاب وبالحديـ ـث وسيرة السلف الثقات
وارجع إلى سنن الخليـ ـقة واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات
رصن التجارة والسيا سة والشؤون الأخريات

ومنها قوله :

أدع الرجال لينظروا كيف اتحاد الثانيات
والنفع كيف أخذن فى أسبابه متعاونات
لا رأين ندى الرجا ل تفاخرا أو حب ذات
ورأين عند هو الصنا ئع والفنون مضيعات
والبر عند الأغنيا ء من الشؤون المهملات
أقبلن يبنين المآ ثر للنجاح موفقات

* * *

مصر تجدد مجدها بنساتها المتجددات
الناهضات من الجمو د كأنه شبح الممات
لما حضن لنا القضـ ـية كن خير الحاضنات (٥)
غذينها فى مهدها بلبانهن الطاهرات
وسبقن فيها الطلـ ـين إلى الكريهة معلمات (٦)
يهوين تقبيل المهنـ ـد أو معانقة القناة
ويرين حتى فى الكرى قبل الرجال محرمات

قصيدة سامرة تنطق بأجل المعانى وأسمى الأغراض ، ولولا ضيق المقام لنقلتها لك لترى قدرة الشاعر واتساع ثقافته

* * *

وفى قصيدة (الهلال والصليب الأحمران) لا يفرق فيها بين السافرات والمحجبات فى الأعمال الإنسانية ، والعمل على تخفيف آلام جرحى الحرب ومنكوبى الحوادث والأوزاء ؛ ويشيدهن

(٥) القضية هنا : قضية وادى النيل ، ويشير فى ذلك الى ما قامت به المرأة فى سنة ١٩١٩

(٦) المطلون الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم

بالسلمات المربيات الخالصات فى عصور الإسلام الزاهرة حيث كن يقمن بنصيب وافر مع الرجال فى ميادين القتال يضمدن جراح المصابين ويخففن آلامهم ، ويدفعن بالمحاربين إلى ساحة الوغى . . فيقول :

جبريل أنت هدى السما ء وأنت برهان العنايه
أبسط جناحيك للذيـ ـن هما الطهارة والهدايه

إلى أن يقول :

وعجيبات من أطـ ـهر عند نائبة كفايه
يسعفن ربا أو قرى كنساء على فى البدايه
إن لم يكن ملائك الر حمن كن هو حكايه

• • •

يا أيها الباغون وكا ب الجهالة والغوايه
الباعثون الحرب حبا للتوسع فى الولايه
المدعون على الورى حق القيامة والوصايه
المتكلون المرتمون الهادمون بلا نهايه
كل الجراح لها الفتا م من عزاء أو نسايه
إلا جراح الحق فى عصر الخسافة والدرايه
ستظل دامية إلى يوم الخصومة والشكايه

• • •

والأم هى المدرسة الأولى التى يتلقى فيها الابن علومه ويتزود منها بالمعارف التى تعده للحياة ، وفى استطاعتها أن تخلقه كما تشاء

إن شاءت جعلته جبانا رعديدا ، وإن شاءت خلقته أسدا هصورا . وهى القديرة على أن تخلق منه رجلا مثاليا كاملا يمشى فى الناس بالهدى والرشاد ، أو تخلق منه شيطانا رجيما يبث فى الأرض الفساد . فيقول مخاطبا المرأة :

أنت شعاع من على أنزله الله هدى
كم قد أضاء منزلا وكم أنار مسجدا
وكم كسا الأسواق من حسن وزان البلدا
لولا التقى لقلت لم يخلق سواك الولدا
إن شئت كان النمر أو إن شئت كان الأسدا
وإن ترد غيا غوى أو تبغ رشدا رشدا
يأخذ ما عودته والمرء ما تعودا

• • •

هذه نظرة سريعة لما حفل به ديوان شوق عن المرأة غير ما تفرق فى رواياته المتعددة التى تصور حياة المرأة النفسية والخلقية والعاطفية التى كان يلحظها شوق ، وفيها نرى كيف كان شوق يعالج هذه الموضوعات بحكمة وتدبر ، وأنه كان يستلهم بيئته الخاصة ، العامرة بالعنصر النسوى المهذب الذى يدين بالحرية المقيدة بالقيود الخلقية والاجتماعية ، وكيف أخذ على نفسه مناصرتها فى الدعوة إلى التقدم الاجتماعى الذى كانت تسعى دائبة فى الحصول عليه ، وكيف كان يعمل على الأخذ بيدها فى الحياة المنزلية والزوجية ، والصلة بينها وبين الرجال

كما عرف مقدار خطوها فى تربية أبنائها الذين تقدمهم للوطن رجالا عاملين ، يسمون إلى رفعة الوطن وترقيته ليساير أرقى الأمم فى العالم

رحم الله شوقى وبل ثراه ، فقد ترك لنا تراثا ضخما قل أن يجود الزمان بمثله

أسيوط — عبد الموجود عبد الحافظ

السلام العالمى والإسلام

كتاب جديد بقلم

سيد قطب

الناشر : مكتبة وهبة
١٤ شارع ابراهيم باشا بعابدين

١٩٠ صفحة — ١٥ قرشاً